تصور الشباب لدلالات الذاكرة والتغيير الاجتماعي والخطاب في سياق التحول الديمقراطي: دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس

نجاة لحضيري
المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر
nadjatlahdiri@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/03/20؛ تاريخ القبول: 2021/01/20

Perception of youth about Connotations of memory, social change and discourse in the context of democratic change: Comparative study between Algeria and Tunisia

Nadjat LAHDIRI

Abstract: The present study discusses the representations of Algerian and Tunisian youth about memory, social change, and discourse as part of the major transformations witnessed by the Arab world for the period after the Arab Spring revolutions. It aimed primarily political and social change and the peaceful transfer of authority by establishing democratic governance .

Based on the comparative approach between the Algerian and Tunisian contexts, which we conducted through the field investigation, we relied on field and collective interviews with academics professors as well as students.

We discovered frustration, despair and even aversion to the reality of marginalization and extreme youth, toward political and social participation, while it also devoted two different realities: a failure for Tunisia and an exception for Algeria.

Keywords: Algeria; Tunisia; memory; social change; perception.

الملخص:

عالجت هذه الورقة البحثية تصور شباب الفضاءين الجزائري والتونسي للذاكرة والتغيير الاجتماعي والخطاب في سياق التحول الذي شهده العالم في فترة ما بعد ثورات الربيع العربي والذي استهدف التغيير السياسي والاجتماعي والانتقال السلمي للسلطة مع إرساء الحكم الديمقراطي.

أسفر التحقيق الميداني المنجز في الفضاءين الجزائري والتونسي - استنادا على المقابلات الشخصية والجماعية مع أكاديميين، وأساتذة وجامعيين، إلى جانب توزيع استمارة الاستبيان على الطلبة الجامعيين- عن الإحباط واليأس من واقع همش وأقصى الشباب من الحياة العامة والمشاركة السياسية والاجتماعية؛ علاوة على تمايز الفضاءان: إخفاق بالنسبة لتونس والاستثناء بالنسبة للجزائر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ تونس؛ الذاكرة؛ التغيير الاجتماعي؛ تصور.

مقدمة:

يعد التحول الديمقراطي عملية تغير تاريخية وانتقال من نظام إلى آخر ومن أسلوب حكم إلى أسلوب آخر في المجالات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والتكنولوجية كما يعتبر هدف مختلف الأنظمة السياسية في المجتمعات المعاصرة. إذ شهدت كل من الجزائر وتونس - ضمن سيرورة التحول المحلية والعالمية - تعاقب الأجيال وتمايزها في القيم، والمفاهيم، والسلوكّ مع التوجهات الفكرية والقناعات الأيديولوجية.

زمنيا، يمتد الجيل من خمس وعشرين إلى ثلاثين سنة؛ حيث يتقاسم خلالها بعض الخصائص تشمل: السن، والقناعات الأيديولوجية والفكرية، والتربوية والتنشئة الاجتماعية مع أنماط التكوين الذي يتلقاه في مساره مع طموحاته على عدة مستويات؛ كونه يتعايش مع نفس العوامل والظروف المتاحة. إذ يتعرض الجيل إلى عملية تحول في

عدة مجالات عبر مراحل تاريخية تزامنية تشمل: المجال الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، والعلمي... وغيرها من المجالات وبتأثير جملة من العوامل التي تُفعل عملية التحول نحو نظام ديمقراطي أو أي نظام أو سياق آخر، وذلك وفقا للمعطيات السياسية والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية إضافة إلى المنظومة الفلسفية والقيمية التي يتأسس عليها المجتمع.

يعد التغيير سمة المجتمعات التي لا تزال في رحلة بحث عن نظام قوي ومشروع مجتمع بسماته وخصائصه التي تميزه عن غيره في ظل ما يدعى بالتحول الديمقراطي بتداعياته المختلفة. إذ أظهر الواقع حدوث تغيير على مستويات محددة عبر فترات تاريخية متزامنة في عدة بلدان عبر العالم منها على غرار البلدان المغاربية التي تشكل كل من الجزائر وتونس موضوع الدراسة، إلا أنه تمظهر بشكل مختلف؛ إذ يكمن الاختلاف بينهما في عناصر وفاعلي ومستويات التغيير التي يبحث فيها جيل الشباب عن ما يلبي طموحه. كما أظهر تغير السياقات السياسية، والاجتماعية والثقافية والقيمية الحاصلة في البلدين دور الخطابات السياسية، والدينية التي تسوق إعلاميا في حدوث عملية التغيير، الذي غالبا ما يستند على الذاكرة جراء تعرض البلدان إلى الاستعمار الفرنسي مع تقاسمهما السمات الجغرافية، والديمغرافية، واللغوية والدين. إذ يؤثر الخطاب على الرأي العام بشكل مزدوج الاتجاه من السلطة نحو الشعب وقد يتعدد من حيث التوجه ليحدث تأثير أكبر، باعتبار "الخطاب هو نفسه سلطة". (بن ظافر الشهري عبد الهادي، 2004: 221)

أنجزت الباحثة دراسة ميدانية سنة 2016 في كل من الجزائر وتونس استنادا على مقاربة مقارنة بين سياقان يشكلان - ضمن سياق الربيع العربي- حالتان: "الاستثناء" بالنسبة للجزائر و"الإخفاق" بالنسبة لتونس؛ وذلك تأسيسا على القراءات المتحصل عليها في الميدانين. إذ سعت خلالها الباحثة في التعرف على تصور الشباب للذاكرة، والتغيير الاجتماعي ومدى تأثره بالخطاب الذي يتلقاه واقتناعه به وسبل تفاعله مع مصدره. لذلك طرحت الإشكالية التالية: ما هو تصور الشباب

الجامعي للذاكرة والتغيير الاجتماعي في كل من الجزائر وتونس؟ وهل حدث التغيير في البلدين استنادا على الخطاب أم على الذاكرة؟ وهل يدعو الخطاب إلى التغيير الاجتماعي في كل من الجزائر وتونس؟ وما هو موقف الشباب منه؟

انطلاقا من الإشكالية المطروحة طرحت التساؤلات التالية:

* ما هي العلاقة بين التغيير الاجتماعي (الحاضر والمستقبل) والماضي (الذاكرة) في كل من الجزائر وتونس؟

* كيف يتم التوافق بين الذاكرة والتغيير الاجتماعي في السياقين الجزائري والتونسي لما بعد ثورات الربيع العربي؟

* هل يعد استحضار الذاكرة في مختلف الخطابات هو فعل ظرفي أم مبرمج وما هي خلفياته وأهدافه في كلا السياقين؟

* كيف يرى الشباب في الجزائر وتونس الخطاب الذي يتلقاه وهل يؤيده أم يعارضه؟ وما هو رأيه حول التغيير الاجتماعي؟

اعتمدت الدراسة على المنهجين: المسحي والتحليلي مع القيام بمقاربة مقارنة استنادا على تحقيق ميداني في المجالين الجزائري (يُنظر إلى التعليق رقم 1) والتونسي (يُنظر إلى التعليق رقم 2) حول تصور شباب لكل من: الذاكرة، والخطاب والتغيير الاجتماعي. كما شملت الدراسة شقان: نظري وتطبيقي؛ حيث تطرق الشق النظري إلى التوثيق النظري مع ضبط المصطلحات التي بُنيت على أساسها الدراسة، فيما شمل الجانب التطبيقي إنجاز تحقيق ميداني بالاستعانة باستمارة الاستبيان التي وزعنت على الشباب الجامعي في الفضاءين الجزائري والتونسي؛ وإجراء مقابلات ميدانية تنوعت ما بين المقابلات الشخصية والمقابلات الجماعية بكونها تمنح "تسهيلات، فحضور وفعل بقية أعضاء المجموعة تدفع الفرد إلى الكلام (الإدلاء برأيه)، لأن بقية الأعضاء يدفعونه للتفاعل مع الموضوع والتعبير عن رأيه حوله، لذلك فهي تمنح المعلومة بطريقة سريعة وبأقل تكلفة." (Hervé FENNETEAU, 2015: 30). إذْ "تتركز بالدرجة الأولى على التجربة التي عايشها الأشخاص المستجوبين". (UCHESNE

Sophie ; Florence HAEGEL:11). غالبا يتراوح عدد المستجوبين "ما بين 5 الى 10 أفراد". (Sophie UCHESNE et Florence HAEGEL, 2011:53). شكل الشباب الجامعي، الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و35 سنة، مجتمع البحث واعتبرت الجزائر وتونس مجال الدراسة التي امتدت فترتها من سنة 2011 إلى 2016 (فترتي "الربيع العربي" وما بعده).

مفاهيم الدراسة:

- الشباب: إن تعريف كلمة الشباب يكون انطلاقا من "مفهومين اثنين: مفهوم العمرية أو المرحلة العمرية (Classe d'âge) ومفهوم الفئة الاجتماعية (Catégorie sociale ou groupe social)". (مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1984: 9). من جهتها حددت الأمم المتحدة "فئة الشباب بأنهم أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة". وفق البنك الدولي تمتد "فترة مرحلة الشباب في ما بين 15 و25 عام." (Wikipédia)

علميا يعرف المختصون "مرحلة الشباب وفق عدة اتجاهات: الاتجاه الزمني (العمري) (الذي) يحدد سن الشباب من 15 إلى 30 سنة توافقا واكتمال النمو الجسدي والعقلي للفرد؛ الاتجاه البيولوجي الذي يستند على اكتمال النمو البيولوجي للفرد؛ الاتجاه النفسي الذي يعرف الشاب انطلاقا من الزاوية النفسية بمعنى الإحساس بالحيوية، النشاط والطموح، الذي يقابله الإحساس بالإحباط واليأس خلال مرحلة الشيخوخة؛ (و) الاتجاه الاجتماعي يستند على احتلال الشاب للمكانة الاجتماعية في السياق الاجتماعي. (من جهتها) تشير وثائق اليونسكو إلى أن الشباب هم الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 25 سنة." (الزيود ماجد، 2006: 26)

يدل مفهوم الشباب في هذه الدراسة على الأفراد الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و35 سنة والذين لهم مستوى جامعي.

- الذاكرة: تعني "قوة نفسية في الذهن وتحضرها للعقل عند الاقتضاء." (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2001: 509) كما

تعد: "كتابات أولية مفهرسة تستعرض أحداث وأفكار (أو) كتابة تتعلق بأحداث تؤرخ مرحلة معينة من طرف شخص كان شاهدا أو فاعلا فيها." (Larousse, 2008: 635). بالنسبة للذاكرة الجزائرية تشكل الشهادات الحية للمجاهدين ومذكراتهم والشهداء مع مختلف الوثائق التي حررها أهم الفاعلين والناشطين في الثورة التحريرية، إحدى عناصر الذاكرة الجزائرية التي تختلف عن التاريخ، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالمناسبات التاريخية الوطنية، والعلم والنشيد الوطنيين.

تبين الذاكرة في هذه الدراسة مجمل العوامل المشكلة لتاريخ الجزائر بدلالاتها المادية والمعنوية إلى جانب الرموز التي تمثلها كمبادئ ثورة أول نوفمبر، العلم، النشيد الوطني، الشهداء، الثورة التحريرية، المجاهدين، ومختلف المناسبات الوطنية المتعلقة بالماضي لكنها تستحضرها في الحاضر وفي المستقبل. والمفهوم نفسه يمكن إسقاطه على حالة تونس التي عرفت بدورها استعمار، لذلك يُتصور أن الذاكرة التونسية تنحصر في الفترة الاستعمارية بمختلف دلالاتها ورموزها.

- التغيير الاجتماعي: يشير المفهوم إلى "التحول بالحديث عن أمر ما أو شيء معين. ومن أشهر التعريفات التي تهتم بمستويات التغيير الاجتماعي تعريف روبرت لارو (R H Lauer) (بكونه) يشير إلى التبدلات في الظواهر الاجتماعية عبر المستويات المختلفة للحياة الإنسانية بدءا من الفرد وانتهاء بالكون كله." (زايد أحمد، اعتماد علام، 2006: 20) كما يبين التغيير الاجتماعي "التحولات أو التبدلات في بناء المجتمع أي في الهياكل الأساسية فيه مثل حجم المجتمع وتركيب أجزائه المختلفة والتوازن بين هذه الأجزاء." (زايد أحمد، اعتماد علام، 2006، ص: 18) كما يشير كذلك "إلى التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي التي تشكل العلاقات الاجتماعية المنظمة التي هي جوهر البناء الاجتماعي. كما يُعبر عن التغيير الاجتماعي "بوصفه تحولا (Transformation) أو تبدلا (Altération) في الأبنية أو النظم أو العلاقات أو الوظائف... (إن) التغيير الاجتماعي عملية دينامية تناقض السكون والثبات وهي عملية

متصلة تحدث في عمليات فرعية عديدة عبر الزمن." (زايد أحمد، اعتماد علام، 2006: 21)

على ضوء التعاريف المقدمة فإن التغيير هو بمثابة الانتقال أو التحول من حال إلى حال أما التغيير الاجتماعي فهو انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى تكون جديدة وغير مألوفة اجتماعيا تشمل السلوك، العادات والقيم وحتى في المظهر الخارجي لكل من الفرد والمجتمع. كما يشمل كذلك الأفكار، والقناعات والحالة الاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل، حيث يمكن أن يكون التغيير في منحى سلبي أو إيجابي.

- الخطاب: " كلام يوجه إلى جمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات." (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2001، ص: 396). كما يعرفه قاموس لاروس بكونه "تعبير خطابي حول موضوع محدد مصرح به على العامة". (Larousse, 2008: 326) وفي تعريف آخر يشير الخطاب إلى "نوع من تناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاط لأفراد مندرجين في سياقات معينة." (مانغو دومينيك، 2008: 38)

يدل الخطاب وفق المنظور الإعلامي على "الرسالة من حيث موضوعاتها وعناصرها وكافة مكوناتها الظاهرة والمستترة بما ينطوي عليه من معان ودلالات وأهداف في سياقها الزمني والمؤسسي والمجتمعي، فالخطاب يشمل اللغة سواء كانت مكتوبة أو منطوقة والتعبيرات غير اللفظية (تعبيرات الجسم)، كما يشمل المادة المرئية والألوان وكافة المؤثرات وعناصر الإبراز والإخفاء في التعامل مع الموضوع وكل ما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الموضوع في سياقه الشامل." (بركات عبد العزيز، 2012: 302) من جهته يعرفه جميل صليبيا في معجمه الفلسفي في ربطه بالحديث أو "القول (discours) هو الكلام، والرأي والمعتقد وهو عملية عقلية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية، أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ أو القضايا التي يرتبط بعضها ببعض أما المعاجم الأجنبية ك:لاروس (Larousse) وميكرو روبير (Micro Robert)

فتقدم جملة من التعاريف والمقابلات مثل: كلام ومحاضرة ومحاورة وموعظة وبحث ورسالة." تجدر الإشارة إلى أن استخدام مصطلح (خطاب) في اللغة العربية كمقابل للفظ (discours) لم يستقر إلا حديثا من خلال الباحثين والأدباء المغاريين أمثال التونسي عبد السلام المسدي والجزائري عبد الرحمن حاج صالح والمغربي محمد مفتاح ومحمد برادة من خلال بحوثهم في مجال الألسنية والدراسات والنقد الأدبي." (حمدي أحمد، 2001: 15)

يدل الخطاب في هذه الدراسة على تصريح لغوي يصدر من فاعل له أهداف وأفكار وأيديولوجية في سياق معين، ليُشكل مرجعية ونموذج يحتذى به من خلال تبنيها والعمل وفقها؛ حيث غالبا ما يستهدف الخطاب إما الإقناع أو التبرير حيث كما يعكس في مجمله التنشئة السياسية لأفراد المجتمع بمختلف شرائحه.

الجزائر بين تمجيد الذاكرة والسعي نحو التغيير:

على غرار بقية دول العالم تزخر الجزائر بذاكرة وطنية وتاريخ نضالي طويل بوأها مكانة هامة في مصاف الحركات التحررية في التاريخ المعاصر والتي دفعت باحثين وأكاديميين من داخل الجزائر وخارجها إلى البحث والكتابة حول تاريخ الجزائر؛ كما شد اهتمام الصحافة الجزائرية والعالمية.

تعتبر الثورة التحريرية جزء من الذاكرة الجماعية الجزائرية التي حظيت بالتمجيد والاستذكار عبر المناسبات الرسمية منذ استقلالها سنة 1962 لدرجة أنها أضحت مرجعية أساسية لكل البرامج السياسية التي تبنتها الدولة الجزائرية منذ استقلالها سنة 1962، وكذلك الأمر بالنسبة للأحزاب السياسية والسلطات العمومية إضافة إلى الخطابات المتعددة. فالقراءة المتأنية لمختلف الخطابات الرسمية أو غير الرسمية سواء تلك التي تسعى إلى التجنيد والتعبئة الشعبية أو إلى التغيير الصادرة عن السلطة وبقية أطراف المجتمع المدني، تُبين الاستعانة والاستناد على الذاكرة لدرجة أن معظم الخطابات الرسمية الدائمة منها أو "الظرفية"؛ سواء منها المتشابهة أو المتضادة تستند على الذاكرة كمرجعية رئيسية في صياغة الأفكار وتبني المفاهيم والتخطيط

للبرامج السياسية والتنموية، بهدف تحقيق الأهداف المرجوة من الخطاب أولها الإقناع. ويُفهم من استحضار الذاكرة في الجزائر سواء من خلال الخطابات أو المضامين الإعلامية المتباينة إلى الارتباط الوثيق بالماضي القريب للجزائر من جهة، ولكون رموز وتداعيات الثورة التحريرية لا تزال تحضر في مختلف المشاهد السياسية الوطنية والدولية، والتي أضحت في الوقت نفسه مطلبا شرعيا من خلال المطالبة بالاعتراف بجرائم الاستعمار الفرنسي في الخطابات الرسمية الجزائرية، من جهة أخرى.

في المقابل، أظهرت المقابلات الجماعية التي أُجريت في الجزائر أن الشباب لا يولي أي أهمية للتاريخ وحتى الرموز التي تشكل ذاكرة الجزائر التي تتقدمها الثورة التحريرية، والتي تستحضر في مختلف المناسبات الوطنية: كالاحتفالات المتعلقة بذكرى اندلاع الثورة التحريرية واستقلال الجزائر؛ حيث عبر بعض الشباب من عينة الدراسة، عن السخط واللامبالاة من هذا الحضور القوي والمتكرر للذاكرة الجزائرية في مختلف المحافل والمناسبات المخلدة لها وحتى في مضامين الخطابات.

أظهر التحقيق الميداني صدمة الشباب بعد اكتشافهم مفارقة بين ما يطلعون عليه في مختلف الكتب والمصادر وما يتلقونه في المدارس حول مادة التاريخ، لأن جزء كبير من تاريخ الجزائر القديم والمعاصر لم يُدرج، حسبهم، ضمن مقررات المدرسة الجزائرية؛ خاصة وأنه تم تدوينه من طرف المؤرخين الجزائريين الذين مازالوا في غالبيتهم "منشغلين ببناء "تاريخ وطني" عبر السجال مع المدرسة التاريخية الفرنسية ومقيدين بأدلجة هشة أهملت تجديد المعارف التاريخية وإقامة المناهج الحديثة، فالتاريخ في الجزائر يعاني من أزمة حقيقية". (غالم محمد، 2014: 26) كما أن تصور الشباب للذاكرة مزدوج شمل واقعين متناقضين: فمن جهة فهم يعتبرونها محل تقديس وتمجيد بشكل مفرط كما أنها حاضرة في الخطابات السياسية والإعلامية وحتى الدينية خلال الاحتفالات المخلدة لبعض التواريخ المتعلقة بالذاكرة الجزائرية: ذكرى اندلاع الثورة التحريرية (1 نوفمبر 1954)، ذكرى

الاستقلال (5 جويلية 1962)، مجازر الثامن من ماي 1945، وقف إطلاق النار (19 مارس 1962)، يوم الشهيد (18 فيفري من كل سنة) ... وغيرها من التواريخ؛ فيما تعد محل ملل وسخط من طرف الشباب الذين سئموا من التعرض للدلالات نفسها والخطابات المتكررة والموجهة بطريقة نمطية لأنهم لا يولون للذاكرة أهمية كبيرة؛ كونهم ينتمون إلى الجيل الجديد الذي لم يعايش الثورة التحريرية بمختلف أحداثها التي تشمل الذاكرة الوطنية في الجزائر؛ مما أثار سخطهم ومللهم لغياب مرجعية متينة وحديثة تُؤسس على قاعدة رصينة تبني مستقبل أجيال ما بعد الاستقلال، من جهة أخرى. كما يظهر تمجيد وتقديس الذاكرة في الجزائر في تبني الطبقة السياسية خلال اعتماد برامجها مبادئ ثورة نوفمبر، والتي عُدت محور اهتمام ومتابعة من قبل المجاهدين بكونهم ينتمون إلى جيل الثورة التحريرية وهم من صانعي وفاعلي الذاكرة الجزائرية والذين حصدوا جراءها امتيازات كبيرة عرفانا لهم. فهم يؤسسون لمبدأ الشرعية ويبررونها استنادا عليها وانطلاقا من ارتباطهم التاريخي والوجداني بتلك الحقبة التي عايشوها ومن خلال استحضار كل الدلالات والرموز المرتبطة بها عند استذكارها كالبطولات التي صنعوها أو شاركوا فيها، وحتى رموزها الأخرى كالعلم والنشيد الوطنيين؛ لذلك نجد أن هذا الجيل لا يزال يعيش نشوة إنجازات تاريخ الجزائر الحديث ومرتبط بها وجدانيا لدرجة أنهم لا يتصورون أنفسهم خارج دائرة التمجيد، والتخليد والتكريم خلال استحضار الذاكرة الوطنية أو الاحتفال بالأحداث والرموز المتعلقة بها التي تعد مفخرة هذا الجيل.

تونس: حدوث تغير أم وقوع قطيعة مع جزء من الذاكرة؟

يبدو أن النموذج التونسي في التغيير لم يتأسس انطلاقا من الذاكرة التونسية المنحصرة في فترة الاستعمار الفرنسي، بل حدث التغيير استنادا على حقبة تاريخية حديثة من تاريخ تونس المعاصر وهي ثورة 2011 المعروفة بتسمية "ثورة الياسمين" ضمن سياق ثورات "الربيع العربي" ولما بعدها؛ فلا يُستحضر تاريخ استعمار فرنسا في المنابر السياسية ولا في المضامين الإعلامية أو حتى في مختلف الخطابات

الدينية المروجة في تونس - حسب التحقيق الميداني المنجز- لذلك سُجل اختلاف بينها والجزائر حول مفهوم الذاكرة بدلالاتها ورموزها مع الحقب التاريخية المرتبطة بالاستعمار الفرنسي التي ترمز إليها، إذ نجد حضورها قوياً في السياق الجزائري، وغيابها التام في السياق التونسي.

علاقة الخطاب بالتغيير في تونس هي "علاقة جدلية لتزامنه مع مسار التغيير؛ فالخطاب الإعلامي (مثلا) في الصحافة التونسية أكثر انفتاحا لتمتعه بحريات أكبر." (مقابلة، تونس، 2016). ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل "ظهر في الوقت الراهن في تونس صراع الذاكرات بمعنى الفئة التي تساند فكر وطروحات الرئيس الراحل لحبيب بورقيبة والفئة التي تعارضه. كما سُوقت بعض الخطابات التي مجدت شخص بورقيبة وإنجازاته التاريخية، إذ عبرت كل الخطابات في تونس عن التغيير خاصة منها الخطابات السياسية." (مقابلة، تونس، 2016) وذلك بهدف إقناع الشباب للانخراط في الحياة السياسية العامة: أحزاب سياسية، جمعيات ومنظمات طلابية.... وغيرها.

"إن اللجوء إلى "المرجعية البورقيبية" من طرف بعض أطياف الطبقة السياسية إما لتسمية حزب سياسي جديد وإما لإعطاء محتوى عقائدي للثورة ليس في محله بتاتا." (المستيري أحمد،2011: 327). إن تغير الظروف والمعطيات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية في المحيطين المحلي والدولي، أدى إلى الاستناد على المرجعية البورقيبية؛ كما أن الواقع بين أن شباب تونس يعاني من حالات اليأس والحسرة على الأوضاع التي خلفتها ثورة 2011، لأنه اعتبر التغير الذي تعرضت له تونس سلبي أكثر منه إيجابي لكونه أحدث قطيعة مع جزء من الذاكرة وهي الفترة المتعلقة بالاستعمار الفرنسي، لتنحصر في فترة الرئيس الراحل لحبيب بورقيبة لأنها تركت انطباعا حسنا في ذهن المجتمع التونسي عامة والشباب فئة المجتمع المدروس تحديدا.

التحقيق الميداني: قراءة النتائج:

أ _ الحالة الجزائرية:

اعتبر الشباب المبحوثين التغير الحاصل في المجال الاجتماعي سلبي تمظهر في تغير القيم جراء تقليد فكر ونمط العيش الغربي تجسد في الهندام والسلوك على النمط الغربي مع تفاقم الانحلال الأخلاقي؛ إضافة إلى كثرة التيارات الفكرية المتناقضة، مع ضعف المرجعية الفكرية والدينية القوية التي تحول دون استقطاب فئة الشباب وخاصة وأنه لا يزال في رحلة بحث عن إثبات الذات عن طريق الدراسة والتكوين مع العمل، بهدف الظفر بمكانة اجتماعية سواء في الجزائر أو في تونس والعالم العربي.

كل هذه العوامل ولدت حالات الإحباط واليأس مع الإحساس بالتهميش والإقصاء من الحياة العامة. إن التغيير الاجتماعي يستند على مجموعة من العوامل المتراكمة عبر محطات تاريخية قد تكون منتظمة أو منقطعة ضمن سياق المجتمع المتحول دوريا في عدة مجالات منها تلك ذات صلة بالعوامل الديمغرافية والمنظومة القيمية في المجتمع. يتطلب التغيير السياسي الانتقال السلمي للسلطة أو بما يدعى بالتحول الديمقراطي لتحقيق الرضا العام والمصلحة العامة. وفي ذات السياق أقر الشباب، عينة الدراسة، عدم حدوث تغير سياسي في الجزائر، بل لازال مستمرا ومسقرا سواء بالنسبة لأسلوب الحكم أو بالنسبة لفاعليه، مع حصول تقدم معتبر وبوتيرة متباينة من حيث الخصائص مسايرة لمختلف الظروف مبررين ذلك مرور الجزائر بفترة أمنية عصيبة عُرفت بتسمية "العشرية السوداء" خلال تسعينيات القرن الماضي؛ لذلك اعتقد الشباب أن المجتمع الجزائري يفضل الاستقرار على التغير السياسي، لتشكل بذلك "الاستثناء" ضمن سياق "الربيع العربي" على اعتبار الجزائر لم تتأثر بموجة الثورات التي اجتاحت بعض الدول العربية التي كانت تداعياتها الزمنية والمكانية متباينة ما بين السلبي والإيجابي؛ فهي ثورات قادها جمع من الشباب الذي كان متحمسا للتغيير دون التفكير حول فترة ما بعد التغيير.

إن التعرض للخطاب مهما يكن فاعله أو مصدره يولد رتابة ونمطية في تفكير وتوجه الأفراد نحو الاقتناع أولا ثم تبني ذلك الخطاب وتكراره بشكل يؤدي إلى تشكيل توجه أيديولوجي معين، مما يولد

الثبات والاستقرار. وتتعدد الخطابات فمنها الخطابات السياسية التي تستهدف البقاء أو الوصول إلى السلطة، والدينية التي تستهدف التربية والتنشئة الخلقية والقيمية؛ إضافة إلى الخطابات الإعلامية التي تتعدد أهدافها وفق سياسة الوسيلة الإعلامية وفئة الجمهور المستهدف من العملية الاتصالية. فالهدف الرئيسي للوسائل الإعلامية هو تكوين الرأي العام، الذي يحدث بشكل تدريجي من خلال التكرار، والمقارنة والتحليل استنادا على البرهان. لذلك فهي مروجة مختلف الخطابات المتعددة المضامين التي تعكس عدة توجهات وتيارات متباينة المرجعيات. إذ تتصدر الخطابات السياسية واجهة الوسائل الإعلامية التي تعالجها وفق مختلف الأنواع التحريرية، تناسقا مع خطها التحريري وأجندتها الإعلامية؛ فيما تأتي بقية الميادين الأخرى بدرجات متفاوتة.

يبدو أن الخطاب الديني حاليا مواز للخطاب السياسي، لكونهما يستندان على جملة من القناعات تضمر خلفيات كثيرة لكنها تستهدف تحقيق الإقناع والاستمالة. وتعد الذاكرة التي تتمظهر في الحقب والتواريخ الهامة التي عرفتها الجزائر إبان وبعد الاستقلال ركيزة مضامين الخطابين الديني والسياسي في الجزائر. وإن كان الأول يُلقى خلال اللقاءات الميدانية كالحملات الانتخابية التي ينتعش فيها كثيرا، فيما يلقى الخطاب الديني في المساجد وفضاءات أخرى تستقطب فئة الشباب.

يعود الاعتماد على الذاكرة واستحضارها ظرفيا خلال المناسبات الوطنية في الجزائر إلى تذكير الوعي العام بالإنجازات البطولية التي حققها جيل الثورة إبان الاحتلال الفرنسي، كما كانت التجارب النووية في الصحراء الجزائرية تزامنا مع ظهور خطاب المطالبة بالاعتراف بجرائم الاستعمار ضد الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية (1830-1962)، دورا في استحضار بشكل مكرر ومستمر للذاكرة الجزائرية في الخطابات السياسية. أما المجال الديني فتمظهر في مبادئ الثورة التحريرية والمعاني السامية التي تستهدف تربية النشأ على حب الوطن والتضحية مع ضرورة الاقتداء بجيل الثورة التحريرية الذي

اكتسى شرعية مزدوجة "تاريخية وسياسية". وعلى نفس النهج لُوحظ تبني غالبية الأحزاب السياسية ذات التوجه الديني في الجزائر هذا النمط من الخطاب، حيث تتخذ بعضا منها المساجد والزوايا مكانا لترويج أفكارها التي غالبا ما تسوَق عبر وسائل الإعلام بمختلف قنواتها الكلاسيكية والحديثة (الرقمية) وفقا لأجندتها الإعلامية؛ فاختيار موضوع معين والتركيز عليه يعكس اهتمام الوسيلة الإعلامية، التي تعد همزة ربط بين السلطة والمجتمع، وبين جيل الثورة (المشارك في الثورة التحريرية) وجيل الشباب (الذي لم يعش الثورة ولم يشارك فيها، لكنه يتعرض لعدة كتابات حولها)، لذلك فهي تسوق هذه الخطابات بهدف إقناع الجيلين المتباينين ولتحقيق التوافق بينهما.

لعبت وسائل الإعلام في الجزائر دورا بارزا في "حدوث التغيير في نمط التفكير والتصرفات والسلوك، واللغة مع انتشار ظاهرة التدين التي أصبحت شائعة من خلال متابعة الفضائيات، كما أصبحت الأناشيد الدينية موضة العصر. وعن تغير الهندام؛ فقديما كانت المرأة الجزائرية ترتدي الحايك أما حاليا حل الحجاب والنقاب محله، إضافة إلى انتشار واستفحال ثقافة التسوق التي لم تكن موجودة سابقا من خلال الترويج لها عن طريق الإشهار. كما أضحينا مجتمع المشهد والصورة من خلال التعرض اليومي إلى الفضائيات." (مقابلة، وهران، الجزائر، 2016)

لا يثق الشباب في مختلف الخطابات ولا يقتنع بمضامينها، لأنها - حسبه - تعتمد على الاستمالة العاطفية ودغدغة المشاعر بدلا من التحليل والإقناع المنطقي بالاعتماد على الأساليب العلمية والعقلية في تبني الأفكار وترويجها مع نقلها من جيل لآخر. كما اعتبرت خطابات تحتوي في طياتها على تبرير وتبجيل وتمجيد الذاكرة في ظل غياب البديل في الاقناع، خاصة منه الخطاب السياسي؛ لذلك يفضل الشباب الخطاب الديني على الخطاب السياسي، كونه يمثل الشرع الإلهي والمبادئ السامية والثابتة والتي حصلت على الإجماع فكرا وسلوكا؛ في حين يُتخذ الخطاب السياسي مجالا لترويج أفكار مبنية على

المصلحة الشخصية تهدف الوصول إلى السلطة أو البقاء فيها، في الوقت الذي يعتبر فيه الخطاب الديني "خطاب بشري له بعده الأيديولوجي أو الفكروي أو السياسي، إنه يوظف المقدس في ذهن المؤمنين لتنفيذ مشاريع دنيوية عينية والذي يتتبع خطابا كهذا يرى دنيويته ظاهرة بشكل جلي عندما نراه يدخل لعبة السياسة، فهو في هذه الحالة يبتعد كثيرا عن روحية النص الديني ومضمونه." (فرح سهيل، 1994: 63)

إن تداخل مضامين الخطابات الثلاثة في الجزائر، حسب الشباب الجامعي، هو أمر لابد منه، لارتباطها فيما بينها من ناحية المرجعية والأهداف، إذ تكمن المرجعية الأولى في استنادها على الذاكرة أما أهدافها فهي تشمل الإقناع وتبني نفس الأفكار والتوجهات والعمل بها، ليعكس حلقة الربط في فعلان يشكلان مفارقة ثنائية: التغيير والتحول/ الثبات والاستقرار.

اعتبر الشباب الجامعي، عينة الدراسة، مختلف الخطابات التي يتعرض إليها يوميا متباينة في الظاهر، لكنها تتشابه في المضمون بكونها تدعو إلى الاستقرار خاصة في المجال السياسي. حيث فضل الشباب المستجوب عدم حدوث التغيير أو أي تحول سياسي استنادا على تجربة البلدان العربية التي عرفت ثورات أدت إلى "فوضى" سياسية أكثر من "تحول ديمقراطي"؛ ولمرور الجزائر بتجربة مريرة خلال تسعينيات من القرن الماضي "العشرية السوداء".

حول دور الشباب كجيل ما بعد الاستقلال في عملية التحول أو التغيير، فإنه يصر على البقاء في مقاعد الجامعة لمدة طويلة لتفادي ما سيعانيه من المشاكل الاجتماعية كالبطالة والتهميش، وحتى الإقصاء من الحياة العامة بعد التخرج، لأنه مدرك أنه ينتمي إلى فئة "المهمشين" وليس من "الفاعلين المشاركين" في المجال السياسي، أوفي عمليات صنع القرار أو حتى في الحياة المدنية؛ فهم يعيشون عدة مشاكل في مختلف المجالات، علاوة على صعوبة الاندماج في الحياة العملية لاصطدامهم بذوي الخبرة، ليقتصر مساره على حصوله على

شهادة جامعية فقط مما يقزم حجمه ويزيحه من سوق المنافسة أو فرض مكانة اجتماعية.

إذا كان المجال السياسي في مرحلة الثبات والاستقرار، فإن مجالات اخرى لم يكن حالها كذلك حيث اعتبر الشباب عينة الدراسة، أن التغيير مس القيم بشكل سلبي، لتغريب الشاب عن واقعه وعاداته وتقاليده، نظرا لاحتكاكه بالغرب فكرا، وسلوكا وهيئة (الهندام والمظهر الخارجي)؛ لتبقى مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة، الجامعة، دور الثقافة والشباب... الخ) عاجزة عن مواجهة القيم السلبية التي اجتاحت عقول الشباب وسلوكهم؛ كونها تتبنى برامج تقليدية تنتج النمطية، انطلاقا من تكرار وتمجيد الماضي، في ظل عجزها في إيجاد سبل مسايرة التطورات الحاصلة خاصة مع ظهور قنوات اتصال رقمية منافسة التي أضحت جزء من كيان الشاب.

ب_ الحالة التونسية:

لم يفهم الطلبة التونسيون المقصود بالذاكرة، كما لم يستحضروا الاستعمار الفرنسي خلال إجاباتهم على أسئلة الاستمارة، بل تنحصر الذاكرة، بالنسبة إليهم، في حقبتين تاريخيتين هامتين من تاريخ تونس المعاصر هما: فترة حكم بورقيبة وثورة 2011 (أثناء حدوث الثورة وفترة ما بعد الثورة)؛ إذ عبروا عن حنينهم إلى فترة حكم الرئيس الراحل لحبيب بورقيبة التي عرفت فيها تونس انتعاشا سياسيا واقتصاديا مع الاستقرار الاجتماعي. كما تمخضت عن ثورة 2011، حسبهم، نتائج سلبية كونها لم تُهيأ تونس للتوجه نحو التحول أو الانتقال الديمقراطي بل ساقها نحو "إخفاق ديمقراطي"، حسب عينة الدراسة، نظرا لتداعيات ثورة 2011 السلبية والتي تمظهرت في إقصاء فئة الشباب المهندس والفاعل الرئيسي للثورة من الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى تفاقم المشاكل الاجتماعية. ويعود سبب ذلك، حسب عينة الدراسة، إلى إغفال صانعي وفاعلي ثورة 2011 أهداف الثورة على المديين القريب والبعيد؛ كما لم يفكروا في الأشخاص الذين سيتولون المسؤوليات والمهام المتعلقة بالحياة العامة والمدنية بهدف تحقيق التغيير المنشود. فجيل الشباب

التونسي شارك في الثورة ليُقصى بعد انتهائها. كما لا يزال الجيل القديم المتمثل في الشخصيات السياسية التي كانت حاضرة في فترة حكم الرئيسين الراحلين: زين العابدين بن علي ولحبيب بورقيبة، هم فاعلي وصانعي المشهد السياسي العام لتونس.

يستند الخطاب السياسي في تونس على المرجعية الفكرية للرئيس الراحل لحبيب بورقيبة (1903 - 2000)، من خلال تبني الطبقة الحاكمة خطاب بورقيبة في عرض برامجها وأفكارها نتيجة رفض المجتمع التونسي تبني تيارات فكرية غريبة ودخيلة عنه والتي صاحبتها حقبة ما بعد ثورة 2011، لذلك وجدت في خطابات بورقيبة ملاذا لها لتبني مرجعية بديلة تسعى جاهدة من أجل إعادة صياغة التحول من الإخفاق السياسي نحو الانتقال الديمقراطي السلمي للسلطة والتغير الإيجابي على كل المستويات، حسب الشباب الجامعي التونسي عينة الدراسة، كما اعتبر ضحايا ثورة 2011 جزء هام من ذاكرة تونس، لكونهم ساهموا في صنعها؛ وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن جيل الشباب المشارك في ثورة 2011 يشكل فئتان من الضحايا الذين يُكونون تاريخ تونس المعاصر هما: فئة الشباب الذين ماتوا خلال الثورة وفئة الشباب المشاركين في الثورة والذين لا يزالون على قيد الحياة ينتظرون الإنصاف ورد الاعتبار والتعويض.

أقر الشباب التونسي، عينة الدراسة، أن التغيير السلبي الذي حدث في فترة ما بعد الثورة هو بمثابة "إخفاق" في المجال السياسي و"تفاقم المشاكل" على المستوى الاجتماعي؛ كما اعترف بحدوث تقدم نسبي في مجال الحريات مقارنة مع فترة حكم الرئيس الراحل زين العابدين بن علي التي شهدت كبح حريات التعبير والصحافة والحريات السياسية والدينية؛ وقد ساعد على ذلك السياق الدولي المتحول الذي فرض تيارات دينية معينة استلزم حضورها ولو بشكل غير مباشر في المحافل السياسية والميادين الاجتماعية، كونها تخدم الأنظمة والسياسات.

إن التغير الاجتماعي الحاصل في تونس، وفق عينة الدراسة، هو تغير سلبي نظرا لتدهور الأوضاع وغلاء المعيشة مع توسع الطبقات المطالبة بالعمل وتحسين الظروف الاجتماعية. أما من حيث القيم

والعادات، فإنهم وانطلاقا من مقارنة بلدهم (تونس) بالجزائر بكونها بلد محافظ - فإن المجتمع التونسي شهد اكتساح المجال الديني المشهدين السياسي والاجتماعي بعدما كان مجتمعا متفتحا أو "متحررا"، ليفرض المجال الديني بقوة على الفضاء العام في تونس تمظهر في تفاقم ظاهرة الحجاب، وكثرة النشاطات الدينية التي تقودها الجمعيات الطلابية أو تلك ذات الطابع السياسي بمعنى بروز أحزاب ذات توجه ديني، حيث يعد وصول حزب النهضة إلى الحكم العامل المشجع على ظهور الفاعل الديني في تونس لفترة وإن كانت وجيزة لكنه لعب خلالها دور في عملية التغيير الاجتماعي مع التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع التونسي.

تنوع الخطاب الذي يتعرض إليه الشباب بشكل متواصل ما بين السياسي، والديني والإعلامي، من خلال تداخله وتكامله وحتى ملازمته الحياة السياسية والعامة في تونس التي شهدت ولاتزال تشهد تغيرا؛ إلى جانب المنافسة القائمة بين الخطابات الثلاثة (السياسية، الدينية والإعلامية) التي تستهدف إقناع واستمالة الشباب لتأييد وتبني تلك الأفكار والقيم؛ لذلك غالبا ما تحضر الخطابات السياسية والدينية وحتى الخطابات التي تقوم بصياغتها وترويجها الوسائل الإعلامية بمختلف قنواتها والتي باستطاعتها تحسين طابع الخطاب لتسوقه على الجمهور الواسع وتقصي خطاب آخر، نظرا للدور الهام الذي تلعبه في الحياة العامة للفرد داخل مجتمعه.

نتائج التحقيق الميداني المقارن: استقرار، تحول أم إخفاق ديمقراطي؟

كل احتجاج إذا اتسعت رقعته تحول إلى انتفاضة، وإذا استمرت هذه الأخيرة تحولت إلى ثورة؛ إذ غالبا ما تسعى الثورة إلى تغيير الأوضاع من الحال السلبي إلى الحال الإيجابي؛ إلا أنه قد يحدث العكس في حال عدم توفر العناصر الموضوعية التي تضمن نجاح الثورة وضمانها لأهدافها وفرضها خلال فترة ما بعد الثورة؛ إذ كانت ثورات الربيع العربي عاملا في حدوث التغيير الذي لا يحدث عن طريق الثورة (العنف المؤدي إلى الخسائر المادية والبشرية) فحسب، بل قد يحدث تدريجيا وبشكل سلمي.

لا يقر شباب الفضاءين الجزائري والتونسي من إمكانية حدوث تغيير الإيجابي، فهو متشائم ومحبط كما أُصيب بخيبة كبيرة نظير تعرضه للتهميش والإقصاء للجيل أو فئة من المجتمع من المشاركة السياسية والاجتماعية، كما اعتبروا التحول الحاصل في تونس سلبي على المستويين الاجتماعي والسياسي تمظهر في "الإخفاق الديمقراطي"، مقارنة مع الجزائر التي عرفت الاستقرار السياسي لتشكل بذلك "استثناء" في سياق موجة ما أطلق عليه تسمية "الربيع العربي"، لأنها جنبت حدوث العنف.

تعد الذاكرة في الجزائر فعل متوارث عبر الزمن قادها جيل الثورة، لذلك سجلت حضورا قويا في المحافل السياسية، والاجتماعية وحتى الدينية تمظهرت في مختلف الخطابات عبر منابر متعددة وفي مناسبات متكررة، طغى عليها الطابع الاحتفالي الذي عكس التمجيد والتبجيل بالنسبة للفاعلين المشاركين فيها واللامبالاة بالنسبة للشباب اليائس. من جهتها مثلت الذاكرة في تونس فترة حكم الرئيس الراحل بورقيبة وفترة ثورة 2011، اللتان تمثلان حالتان متناقضتان: الحسرة والحنين/ الندم والسخط؛ نظرا لحضور الجيل القديم في المحافل السياسية، والاجتماعية فيما أقصي الشباب "ضحايا ثورة 2011" من الحياة العامة، كون المستفيد الأول من ثورة 2011 لم يكن صانعوها، بل تعد الطبقة السياسية التي كانت ضمن الحزب الحاكم خلال فترة ما قبل 2011 هي المستفيد الأول وذلك من خلال عودتها إلى الواجهة بحلة جديدة؛ ففي الوقت الذي يلعب فيه الخطاب السياسي في الجزائر دورا معتبرا ويعرف حضورا قويا، شهدت تونس هيمنة خطاب جديد لم يُفرض سابقا، وهو الخطاب الديني الذي احتل الواجهة خاصة مع وصول حزب النهضة إلى الحكم، الذي صحب معه جملة من التأثيرات ساعدت في ظهور تداعياتها في المجتمع التونسي لم تكن موجودة قبل الثورة، إضافة إلى ملازمة الخطاب السياسي لفكر ومرجعيات وطروحات الرئيس الراحل بورقيبة.

الخاتمة:

على ضوء الدراسة التي أُجريت في الفضاءين الجزائري والتونسي، يُستنتج أن الذاكرة الجزائرية لها جانبان: سياسي وتاريخي مرتبط

بالذاكرة الجماعية (أو بما يُصطلح عليها بالذاكرة الثورية)، حيث اصطبغت بالأيديولوجية كفعل لتصبح ذاكرة حاضرة وبشكل مستمر؛ وهي بمثابة سياسة وثقافة تم توارثها عبر الزمن، وهو الأمر الذي يفسر نفور الشباب الجامعي - عينة الدراسة – منها؛ كما أن التغيير الحاصل في المجتمع الجزائري وعبر الأجيال المتعاقبة هو سلبي أكثر من كونه إيجابي، لأنه تأثر بالتغيير على النمط الغربي في التفكير والعيش، مما انعكس سلبا على المستوى الاجتماعي والاقتصادي. ولم يعتبر الشباب الجامعي الخطاب مؤثرا على المجتمع الجزائري الذي يدخل حسب أحد الأساتذة المستجوبين ضمن "المجتمع الماكر" (مقابلة، 2016) من جهة، وليأس الشباب وفقدانهم الثقة في مختلف الخطابات وفي مضامين الإعلام المُسوقة لها، من جهة أخرى. إضافة إلى افتقار معظم الخطابات إلى مرجعيات متينة تخاطب العقل لا العواطف؛ فهي خطابات تسوق من طرف النخبة أو "المثقف الرحال" (مقابلة، 2016) ذات التكوين الهش الذي ينتقل من توجه لآخر بدون أي تردد، توافقا مع مصالحه؛ بينما انحصرت الذاكرة في تونس في فترة حكم الرئيس الراحل لحبيب بورقيبة وهي الحاضرة في مختلف الخطابات السياسية، والإعلامية والدينية كتبرير للبرامج والسياسات العمومية في بلد يفتقر إلى برامج بديلة أو مشروع مجتمع تونسي حداثي وعصري. كما أن التغيير السياسي والاجتماعي الحاصل في تونس هو سلبي كونه صاحب معه أزمة اقتصادية حادة، لظهور فوارق طبقية مع تفاقم المشاكل الاجتماعية من خلال تهميش الفاعلين المفجرين للثورة وهم الشباب.

تعتبر مأسسة الذاكرة في تونس فعل سياسي بغرض تأييد الحشود - وفق الشباب المستجوب - الذين عبروا عن حنينهم إلى الماضي (فترة حكم بورقيبة)، فهي مُستغلة من قبل كل من: السلطة الحاكمة والأحزاب اليسارية واليمينية في تونس بهدف الالتفاف، بلوغ أو البقاء في السلطة؛ كما أن الذاكرة في تونس هي في مرحلة التشتت وهو الأمر الذي يجب لمه من قبل المختصين والأكاديميين، فلا يكفي للذاكرة التونسية أن تكون حاضرة في الخطابات المختلفة، بل يجب تدوينها وتقاطعها والتأكد منها كي تتحول إلى تاريخ، وليس مبرر

السياسات العمومية باعتبارها تهم كل التونسيين. ليظل أهم مكسب ثورة يناير 2011 هي الحريات سواء الشخصية أو الصحافية - حسب تقدير مجتمع البحث-

تعيش تونس -حسب تقدير كل من: الباحثين، والأساتذة والطلبة المستجوبين- مرحلة الانتقال الديمقراطي من خلال تنظيم الانتخابات والبحث عن حلول للأزمة السياسة، والاقتصادية والاجتماعية من خلال حدوث توافق بين الأحزاب التي كانت في الماضي القريب متناقضة ومتعارضة وتجميعها ضمن تكتل واحد موسوم ب "نداء تونس" كون دولة تونس فقدت قوتها أو سلطتها المطلقة لذا تعمدت حدوث التغيير وهي مجبرة على ذلك، نتيجة لضغوط تعرضت لها من الداخل والخارج.

كان الشباب التونسي صانع الثورة، لكنه أضحى مُغيباً ومُهمشاً عن الحياة السياسية والاجتماعية، ولا يهتم بالخطابات مهما كان مصدرها، لأنهم أدركوا أنها وسيلة لتحقيق مصالح أقلية على حساب الأغلبية، والدليل هو المشاركة المحتشمة لنسبة الشباب في رئاسيات 2014 في تونس كمؤشر على المقاطعة ويأس من "وعود لا تنفذ في الواقع".

استُنتج في الأخير أن الذاكرة حاضرة في مختلف الخطابات السياسية والدينية والإعلامية كما لعبت ولا تزال تلعب دورا في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي في الفضاءين الجزائري والتونسي كفعل مبرمج ومدروس هدفه تحقيق الانتقال السلمي للسلطة بالنسبة لتونس والاستقرار بالنسبة للجزائر.

(1) في إطار مشروع بحث على مستوى الكراسك تحت إشراف الزميل الباحث عمار محند عامر موسوم بالذاكرة والتغيير الاجتماعي في الجزائر في الخطاب المهيمن لدى فئة الشباب (2011 - 2018)، بمحور بحث موسوم ب: الذاكرة والتغيير الاجتماعي في الجزائر لدى الشباب من خلال الخطاب المهيمن عبر الصحافة؛ وزعت الباحثة حوالي خمسون استمارة على طلبة جامعتي وهران1 و2، خلال شهر جانفي 2016 سبقها عقد عدة مقابلات ميدانية وجماعية مع الشباب الجامعي – إلى جانب أساتذة وأكاديميين متخصصين في العلوم السياسية، وعلوم الاعلام والاتصال، وعلم الاجتماع والتاريخ في

وهران. أجرت كذلك عدة مقابلات جماعية مع طلبة جامعتي وهران 1 ووهران2 خلال السنة الجامعية 2016- 2017 بهدف التعرف على تصور الشباب لكل من الذاكرة والتغيير الاجتماعي في الجزائر استنادا على متغيري السن ما بين 18 - 35 سنة والمستوى الجامعي.
(2) تحقيق ميداني أُجري في الفضاء التونسي، في إطار رحلة تكوين وتحسين المستوى خلال الفترة الممتدة من 26 أكتوبر لغاية 3 نوفمبر 2016، مع طلبة معهد الصحافة والعلوم الإخبارية، جامعة منوبة، تونس؛ إذ عقدت معهم الباحثة مقابلة جماعية واحدة فيما وزعت حوالي خمسون (50) استمارة، لإنجاز مقاربة مقارنة بين السياقين الجزائري والتونسي حول تصور طلبة البلدان حول موضوعي الذاكرة والتغيير الاجتماعي بكون البلدان يتقاسمان عدة عوامل وعناصر تتقدمها التاريخية، اللغة، ضمن السياق الحالي المتسم بالتحول الديمقراطي.

المراجع:

- الزيود ماجد، (2006). **الشباب والقيم في عالم متغير**، ط1. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- المستيري أحمد، (2011). **شهادة التاريخ**، تونس: دار الجنوب.
- بركات عبد العزيز، (2012). **مناهج البحث الإعلامي: الأصول النظرية ومهارات التطبيق**، دار الكتاب الحديث.
- بن ظافر الشهري عبد الهادي، (2004). **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية- تداولية**، ط 1. دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا: دار الكتاب الوطنية.
- حمدي أحمد، (2001). **جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري**، الجزائر: دار القصبة للنشر.
- زايد أحمد، اعتماد علام، (2006). **التغيير الاجتماعي**، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
- فرح سهيل، (1994). «الخطاب الدوغماتي ورفض الآخر»، **الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، لبنان، مج 15، عدد 76، ص ص 60- 66.
- مانغونو دومينيك، (2008). **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة محمد يحياتن، ط1. الدار العربية للعلوم: منشورات الاختلاف.
- مجموعة مؤلفين، (2001). **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط 2. بيروت، لبنان: دار المشرق.

- مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، (1984). **أشغال ملتقى الشباب والتغيير الاجتماعي**، تونس 8- 14 نوفمبر 1982، سلسلة الدراسات الاجتماعية 10. تونس: الجامعة التونسية.
- مقابلة مع أستاذة التاريخ والصحافة والعلوم الإخبارية من جامعة تونس، الاثنين 31 أكتوبر 2016 ، ويوم الثلاثاء 25 أكتوبر 2016.
- مقابلة مع أستاذة التاريخ وعلم الاتصال السياسي جامعة وهران2، الجزائر، يوم الاثنين 26 سبتمبر 2016، والثلاثاء 27 سبتمبر 2016.
- مقابلة مع مسؤول مكتب يومية الشروق -غرب- بولاية وهران، يوم الأربعاء 06 ابريل 2016، وهران، الجزائر.
-الفترة العمرية لسن الشباب، متوفر على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8
- FENNETEAU Hervé. (2015). Enquête: entretien par questionnaire, Paris: Dunod.
- LAROUSSE. (2008). Le petit Larousse illustré en couleurs.
-UCHESNE Sophie et HAEGEL Florence. (2005). L'enquête et ses méthodes : l'entretien collectif, Paris: Armand Collin.

للإحالة على هذا المقال:

- نجاة لحضيري، (2021)، « تصور الشباب لدلالات الذاكرة والتغيير الاجتماعي والخطاب في سياق التحول الديمقراطي: دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس» . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 393- 415.